المقدمة

الحياة حقيقة علمية واقعية مدركة ببديهيات الافكار والمشاعر والاحاسيس /

الموت حقيقة علمية واقعية مدركة ببديهات الافكار والمشاعر والاحاسيس /

الصحة السمة الاساسية للحياة في ولادتها واستمرارها بشكل سليم

المرض السمة الاساسية للموت في احداثه الطبيعية خارج الكوارث والحوادث والحروب علاقة المرض بالحياة علاقة استثنائية في مسيرتها وقانون اكيد في طبيعتها فكل حي يمرض سواء كان حيواناً او نباتاً لان سياق الحياة يستدعي متغيرات كثيرة ضمن البيئة التي تحتضنها، ومتغيرات البيئة تقود فيما تقود اليه الى المرض عندما يعجز الجسم الحي عن التكّيف مع هذه المتغيرات البيئية وحينما تضعف المناعة الذاتية فلا تستطيع الدفاع آلياً ضد ما تفرزه المتغيرات البيئيّة وتؤثر به على الجسم الحي من هنا كانت محاولات الاطباء لمساعدة الجسم الحي المريض على تنشيط المقاومة المناعية عبر كل الوسائل المتاحة من ممارسات سحرية وطقوسية وكهنوتية ودينية وشامانية قديمة الى آخر ممارسات الطب الحديث من عقاقير وادوية وعلاجات بالاشعة.... الخ ولما كان الجهاز العصبي هو الجهاز المنظم لكل آليات الجسم الداخلية وافرازاته وغدده وهو الذي يستنفر المناعة الذاتية للعمل وفق آليات الامراض والفايروسات والجراثيم وغيرها مما يمرض الجسم لذا

كان التحكم بهذه الاليات وتحفيزها بشكل استثنائي وتغذيتها وتنشيطها هو الذي يحقق للجسم قدرة دفاعية قوية للقضاء على اسباب المرض وجراثيمه وفيروساته وقد ثبت علمياً اليوم ان هناك امكانية للسيطرة على (التحكم اللارادي) للجهاز العصبي على الحركة الفسلجية لاعضاء الجسم الداخلية عبر ممارسات عديدة منها التامل واليوغا والتنويم المغناطيسي، والصلاة، والموسيقى الايقاعية وغيرها، لذا كان من الممكن علاج الامراض المتعلقة بمثل هذه الحركات الفسلجية الداخلية عن هذا الطريق، الذي سبق ان كان يستخدمه المعالج القديم والطبيب الساحر والكاهن والشامان ورجل الدين وباساليب نَصِفها اليوم بالغرابة ونتعجب منها لانه ليس لدينا قانون الصحة والمرض الذي يفسرها علمياً.

لقد كان المريض في العصر القديم يعالج من قبل هؤلاء بممارسات طقوسية ليس بينها وبين المرض والمريض رابط مادي يمكن ملاحظته، ولا اتصال مباشر بين تهمويمات الساحر وقراءة الكاهن وصلاة رجل الدين ورقص الراقصين في حلقات الهستريا الجماعية على الايقاعات الموسيقية وبين مرض المريض بل اننا قد نجد بعض العقاقير والاعشاب التي كان يستخدمها هؤلاء احياناً ليس بينها وبين المرض الذي يعالجه أي علاقة كيميائية بل قد تكون العلاقة الكيميائية تزيد مرض المريض حسب معلوماتنا المعاصرة وتحليل مختبراتنا ومع هذا نجد ان هذا المريض يتماثل للشفاء ويعود صحيح الجسم، وكأنما آليات الشفاء القديم هذه قد غيرت العلاقة

الكيمائية الخاطئة او المضرة بين العشب والمرض الى علاقة جديدة في صالح المريض وشفائه حتى احدثت الشفاء التام فكيف يتسير لنا ان نفهم مثل هذه التغيرات (غير العلمية) بمفهوم قوانينا الكيميائية (والفارماكولوجية)؟.

بل ان بعض هذه الممارسات كما درسها علماء الانثربولوجيا وعلماء النفس قد وصلت في تاثيرها الى احداث الموت نفسه في نفس الانسان المقصود بها، فنحن نعرف اليوم ان هناك ممارسات عند الساحر الافريقي والاسترالي وغيرهما يمارسها وهي انه اذا اراد ان يعاقب انساناً ما لمخالفته بعض الاعراف القبلية مثلاً فيكفي ان يقيم شعائر الرقص والموسيقى الايقاعية المعروفة حتى اذا حمّي الراقصون ووصل الايقاع الى درجة من الحماس (الهستيري) والساحر يلبس اغرب ملابسه ويدمدم بكلمات لا معنى لها عندنا، ويشير الى هذا الانسان بعظم ليس به أي قوة ليزرية او شيطانية، فاذا بهذا الانسان المقصود يسقط ميتاً عن بعد دون ان يلمسه الساحر فكيف يحدث هذا الموت المسمى (الموت بالفودو او الودّونية)؟.

ان هذا الموت الذي يحدث عبر اشارة بعظم من الساحر الافريقي او الاسترالي او غيره يحدث حقيقة في الوهم الذي ياخذ الانسان المقصود بحيث يعتقد ان لدى الساحر قدرة سحرية حقيقية في الوهم الذي ياخذ الانسان المقصود بحيث يعتقد ان لدى الساحر قدرة سحرية حقيقة يستطيع من خلال هذا العظم ان يحدث القتل فيه ولهذا نراه يموت. لقد وصف هذه الحادثة الدكتور هربرت باسيدو في

مشاهداته عام 1925 عند القبائل الاسترالية فيقول [ان منظر الرجل الذي يتعرض الى (الاشارة بالفطر) من قبل الاعداء يثير الاشفاق في الواقع، فانه يقف مذعوراً عيناه تحدقان (بالمؤشر) (الساحر) وبايد مرفوعة كانها تنادي واسطة الموت يتخيلها تنصب في جسده، خدّاه ابيضان، وعيناه تتزججان ويصبح تعبير وجهه شائهاً فظيعاً، يحاول ان يصرخ ولكن الصوت يحتبس عادة في حنجرته وكل ما يستطيع المرء ان يراه هو الزبد في فمه، جسمه يبدأ بالارتجاف والعضلات تتلوى بطريقة غير طوعية، يتمايل الى الخلف ويسقط على الارض، وبعد برهة وجيزة يظهر وكانه مغمي عليه، ولكنه سرعان ما يتلوى وكأنه في نزعات الموت ويبدأ بالانين مغطياً وجهه بيديه ويصبح موته قضية وقت قصير، **(ص 26 العقل والجسد)**.

اذن فالوهم الاعتقادي يمكن ان يقتل عن بعد اذا كان هذا الشخص المقصود بالقتل يؤمن به، فالوهم الاعتقادي هذا يمكن ان يؤثر على انسان القرن العشرين بعد هذا العقل العلمي الكبير الذي يتمتع به؟.

نقول نعم فقد روي الدكتور علي الوردي مثلاً حادثة شاهدها بعينه في جامعة بيروت الامريكية، حيث حضر منوم مغناطيسي مشهور ومن جملة ما قام به هذا المنوم انه اعطى كرات معدنية باردة الى عدة اشخاص ثم اخذ يوحي اليهم بصوت عالي انها ساخنة انها ساخنة فاخذت الكرات تسخن في ايديهم فعلاً حتى رماها معظمهم الى الارض لشدة حرارتها وهم ينفخون في راحات اكفهم من شدة

الالم، وبقي واحد منهم اصر على ابقاء الكرة في يـده، ولعلـه اراد ان يظهـر بمظهـر الشجاعة امام الفتيات الحاضرات، واخذ ينقل الكرة من يد الى يد بغية تخفيف ألمها وعندما القاها اخيراً بدت على راحة كفه علامات الاحتراق. ويعلق الوردي علـى هذا الحدث قائلاً [ان الكرة لم تسخن في الواقع انما الذي سخن هو جلد اليد وذلك من جراء الايحاء، وليس هذا بعجيب فان الانسان كثيراً ما يتخيل المـرض فيمـرض ويتوهم الالم في مكان ما من جسمه فيحـدث الالم هنـاك فعـلاً]، (**ص** 182 **خـوارق اللاشعور**).

اذن فالوهم عبر الايحاء على انه حقيقة ان يقتل ايضاً وما اكثر الذين يموتـون خوفاً من مصدر وهمي للخوف. لقد كتب في الدورية البريطانيـة عـام 1860 عـن موت مفاجئ سببه الخوف فقد ضبطت خادمة صحيحة البدن وهي تـسرق الطعـام فـسقطت ميتـة حـالاً ولم يكتـشف التـشريح أي تغـيرات مرضـية (**ص** 31 **العقـل والجـسم**). ويـذكر الـدكتور بـاركر (مـن شـروز بـري) في انكلـترا حالـة رجـل في الاربعينات ادخل المستشفى في حالة يرثى لها وكان تنفسه سـريعاً بـافراط ولم يكـن لديه أي تاريخ طبي يذكر وفجأءة تشبث بالموظفة الصحية باكياً دكتورة اني ساموت اني ساموت لا تدعيني اموت ارجـوك ارجـوك، واعطـي الاوكـسجين ومـواد مـن شانها ان تسهل تنفسه، صرخ ثانية ثم سقط في سريره بصورة حـادة وبعـد نـصف

ساعة من دخوله المستشفى كان قد توفي ولم يكشف التشريح عن اية اعراض مرضية فقيدت الحالة بان الرجل (مات خوفاً)، (ص 32 **نفس المصدر**).

اذن فالوهم يقتل وياتي بالموت لمن له صحة ولا يشكو من أي مرض وهذا يعني فيما يعنيه ان الفكر والاعتقاد يمكن ان يؤثرا على آلية عمل الجهاز العصبي بشكل مدمّر فتتعطل آليات الحياة في الجسم رغم انه ليس به أي خلل عضوي او وظيفي محدد والدراسات العلمية في هذا المجال اكثر من ان نستعرضها وتحفل بها المصادر العلمية والنفسية ويكفي القول ان الوهم اذا استخدم في أي عمل فني مثلاً فنراه يؤدي اداءاً كبيراً في احداث التاثير، فكم هم الناس الذين ينفعلون حزناً وتسقط الدموع من اعينهم وهم يشاهدون مسرحية حزينة فيها عواطف جياشة من الحزن والالم المفتعل الوهمي الذي كتبه مؤلف واخرجه مخرج ومثله ممثل. وهؤلاء الناس يدركون تمام الادراك ان كل العمل هو تمثيل في تمثيل ومع هذا لا يستطيعون عدم التاثر رغم ادراكهم للكذب الذي يعرض امامهم. كم مرة نشاهد فيلماً هندياً على الاغلب فتتساقط دموعنا رغم معرفتنا اننا في دار سينما وان الفلم حتى من جانب فني ساذج جداً ومفتعلة احداثه الغرائبية، ومع هذا تتساقط الدموع من عيون الناس وكانما المسالة حقيقة وواقعة بصدق امامهم وليس تمثيل في تمثيل، أي وهم في وهم.

ولو حاولنا ان نستوجب كل ممارسات الفن الذي تخدم الوهم اساساً للتاثير لطال بنا المقام ولكن يكفي القول ان الفن كله يقوم على افتعال التاثير عبر هذا الوهم والانسان ينخدع راضياً بقبوله لمعطيات هذا الوهم نفسه مع انه يدرك وهميتها والا لو كان هذا المغني وهو يتوجع امامنا في اغنيته من حبيبته وهجرها يحس فعلاً بعشر ما ابداه من الم لما استطاع ان يغني اكثر من عشر اغنيات ويقتل نفسه بعد ذلك لعدم تحمله لهذا الوجع والهجر والحب، اما الحقيقة فبعد ان ينتهي من اغنيته نجده بعد ساعة واحدة يروي نكاتاً وطرفاً مضحكة، او يلعب الشطرنج او يشرب كاساً. فهل يا ترى نستطيع ان نستخدم هذا الوهم نفسه علاجاً في مسالة الصحة والمرض فما دام باستطاعته ان يقتل ويلعب بالمشاعر وبآليات الدماغ فلماذا لا نستخدمه في هذا المجال؟.

من هنا كان دخول العلاج بالايمان وبالايحاء وبالتنويم المغناطيسي ومن هنا كان القول بان المرض هو وهم عقلي يمكن التحكم به عبر ممارسات وطقوس غامضة، ومن هنا كان اعتماد الطب الاعتيادي نفسه على ادوية تسمى ادوية الوهم (بلاسيبو) والتي اثبت العلم تاثيرها الكبير على احداث الشفاء للامراض الحقيقية والوهمية على السواء.

من هنا نستطيع ان نفهم ونفسر كل ممارسات السحر القديم والطب السحري والشامان.... الخ وممارستهم الغريبة لاحداث الشفاء او للقتل او

التعذيب ومن هنا نستطيع القول ان وهم الامراض عقلي يمكن علاجه بوهم عقلي اكبر او بحقيقة عقلية اوضح.

وكل هذا يستند اليوم الى حقيقة وارضية علمية تقوم عليها الامراض السايكوسوماتية والتي تقول بان 80 ٪ من الامراض اليوم امراض نفسية ذات انعكاس جسدي وفسلجي، وبالتالي فان العلاج يمكن ممارسته بعكس آلية حدوث المرض السايكوسوماتي ـ النفسي ـ الجسمي ـ لكي يتحقق الشفاء، وبالتالي نكون قد وضعنا اول خطوة في مجال العلاج الباراسايكولوجي الذي يعتبر ضمن اطار الطب البديل الذي اخذ يتسع مجاله اكبر واكبر في عالمنا المجنون. الا ان طب الباراسايكولوجي خضع للمختبرات العلمية ولبحث دقيق للاطباء واخذت الفيزياء والكيمياء مجالهما في بحث الطاقة البايولوجية المفترضة للمعالجين باللمس وعن بعد فكان طب الباراسايكولوجي بهذه الدراسات من اعجب واغرب ممارسات الطب قديماً وحديثاً بل ومن اكثرها مصداقية علمية وتدقيقاً مختبرياً وتوثيقاً طبياً، فما هو هذا الطب الذي بدأ يغزو العالم اليوم بعد ان عجز العلم والطب الحديث عن علاج كثير من الامراض المستعصية؟.